المسلم والثقة بالنفس

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله، وبعد ...

المسلم إنسان يثق دائما بنفسه، وهو يستمد ذلك من ثقته بربه وخالقه، فهو لا يهتز أمام العواصف والأعاصير، والمسلم الواثق بنفسه يتصف بصفات كثيرة منها:

١= الواثق بنفسه يمارس فريضة التفكير:

١-خلق الله تعالى الإنسان وزوده بنعمة العقل والتفكير، وحثه على زيادة النظر في الكون، فهذا مفتاح من مفاتيح الإيمان والهداية، وصفة من صفات أولى الألباب:

قال تعالى: "إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ. الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ" (آل عمران:١٩١).

٢- طك هق: عن هند بن أبي هالة التميمي أنه وصف النبي صلى الله عليه وسلم فقال: [كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دائم الفكرة، ليست له راحة، لا يتكلم في غير حاجة، طويل السكوت، يتكلم بجوامع الكلم، فصل، لا فضول ولا تقصير][١].

والإنسان العاقل وهو يمارس دوره في هذه الحياة لابد له من ممارسة التفكير، وذلك حتى يكون قادراً على فهم دوره، وإحسان ما يقوم به من عمل، فتحسين التفكير كتحسين العمل والتصرف، وتحسين كل هذه التطلعات والمطامع لا تتحقق ولا يبلغها المرء إلا بشئ واحد ووسيلة واحدة هي السيطرة على النفس.

والواثق من نفسه دائماً يعمل عقله فيما بين يديه، ويمارس التفكير الصائب الواعي.

٢= الواثق بنفسه يعرف طريقه ويخطط لحياته:

الواثق من نفسه يعرف طريقه جيداً، ويخطط لكل أمور حياته، ويحدد أهدافه بكل دقة، فلا يدع غيره يفكر له، ولا يترك نفسه للظروف، لأنه هو الذي يصنعها، وليست هي التي تصنعه:

---

[١] الترمذي: الشمائل المحمدية، صـ٢٠.

ولقد وصف الله هؤلاء في كتابه الكريم فقال: "أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ" (الملك:٢٢).

ولنا في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم القدوة الحسنة، فقد كان يخطط لكل أموره:

١- ففي الهجرة الكريمة يحدد لكل واحد دوره وماذا يفعل؟
٢- وفى جميع غزواته كان ينظم جيشه، ويحدد لكل قائد هدفه.
٣- في غزوة بدر، تقدم الحباب بن المنذر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما نزل المسلمون بعيداً عن بئر بدر فقال: يا رسول الله، أرأيت هذا المنزل، أنزلكه الله، ليس لنا أن نتقدم ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: بل هو الرأي والحرب والمكيدة. فقال: يا رسول الله، فإن هذا ليس بمنزل، فانهض بالناس حتى تأتى أدنى ماء من القوم منزلة، ثم تغور ما وراءه من القلب، ثم نبنى عليه حوضاً فنملؤه ماءً، ثم نقاتل القوم، فنشرب ولا يشربون. فقال رسول الله: لقد أشرت بالرأي][1].

وكل ما يصنعه الإنسان أو يمتلكه يبدأ في شكل من أشكال الرغبة، وأن هذه الرغبة تبدأ رحلتها من المجرد إلى الملموس من خلال ورشة الخيال حيث تصنع وتنظم خطط تحويل الرغبة إلى مادة.

والإسلام العظيم لم يترك الإنسان يعيش حياته عبثاً، بل أرشده إلى كل ما يصلح حياته من كافة النواحي، الذاتية والعامة مادياً وروحياً وعقلياً وإنسانياً، وكل ذلك من أجل أن يبذر فيه بذرة الثقة والثبات على المبدأ.

<u>٣= الواثق بنفسه طموح ومتفاعل، غير متشاءم:</u>

فالإسلام يرفض من المسلم نظرة اليأس والتشاؤم:

١- قال تعالى: "إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ" سورة يوسف آية: ٨٧.
٢- وقال أيضاً: "مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ. لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ" سورة الحديد آية: ٢٢- ٢٣.

ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم نموذجاً يحتذي في عدم اليأس والأمل الكبير في الله تعالى:

١- فعلى الرغم مما فعله معه كفار مكة من أذى وعناد وتعذيب، ورفض وإنكار لدعوته، إلا أن اليأس لم يتسرب إلى قلبه بل ظل واثقاً بنصر الله تعالى، ويطمأن أصحابه بقوله: (لكنكم تستعجلون).

---
[1] سيرة ابن هشام ن جـ٢، صـ١٩٧ – ١٩٨.

٢- حم: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: [كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَفَاءَلُ وَلَا يَتَطَيَّرُ، وَيُعْجِبُهُ الِاسْمُ الْحَسَنُ].

٣- ويرفض أن يفتح المسلم على نفسه أبواب الشيطان بكلمة "لو" أو "ليت"، م: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: [الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللَّهِ، وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ].

٤- وحذر صحابته من الاستسلام للهموم، فقد رفض مسلك أحد صحابته بالجلوس في المسجد والاستسلام لهمومه وعلمهم دعاءً يقولونه: خ م عن أَنَس بْن مَالِك قَالَ: [كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ].

وهو بكل ذلك يريد أن يغرس بذور الأمل والتفاؤل في نفس المسلم حتى يواجه مصاعب الحياة بنفس مؤمنه واثقة وذلك لأن صاحب الأمل متفائل بما يلقاه في الحياة، مستبشر بأيامه القادمات، يحمل ما يراه على المحمل الحسن، وهذا يؤدى به إلى مزيد عطاء، وانطلاقة خير[١].

ولكي يبعد الإنسان عن نفسه منابع القلق والقنوت واليأس عليه أن يعيش في حدود يومه، ولا يزحم رأسه بالقلاقل والأفكار المتشعبة والمستحيلة في بعض الأحيان، فكل ما تحتاج إليه من أجل النجاح هو فكرة واحدة معقولة قابلة للاستعمال.

وأهم نقاط الضعف في الجنس البشرى هي اعتياد الإنسان على كلمة (مستحيل)، فهو بذلك يعرف كل القواعد التي لا تنجح، ويعرف كل الأمور التي لا يمكن تنفيذها،

ولقد نجح كل الذين امتلأ وعيهم بالنجاح وكيفية تحقيقه، أما الفشل فيصيب أولئك الذين يسمحون للفشل دون اكتراث أن يمتلك وعيهم.

فاليأس والقلق عدوان للتفاؤل والثقة ولا يمكن لهما أن يجتمعا أبداً.

٤ = الواثق بنفسه إيجابي.. يبادر ولا يتردد:

فحينما تريد أن تكتسب عادة حسنة جديدة فعليك بالاقتناع بها، ثم الرغبة فيها، ثم ابدأ بقوة شديدة وعزيمة قوية، ولا تتوانى مرة واحدة عند إتباع العمل الجديد، حتى ترسخ العادة الجديدة فيك، فاغتنم أول فرصة، وكل فرصة للقيام بها. والإنسان الواثق المبادر ثابت على المبدأ لا يتزعزع ولا يتلون.

---

[١] محمد أبو صعليك: الأمل وأثره في حياة الأمة، صـ ٢٥، بتصرف.

١- فقد وصف الله تعالى أمة الإسلام بأنها خير أمة أخرجت للناس، لأنها أمة إيجابية، لا ترضى بغير الحق منهاجاً وطريقاً، فلا ترى الباطل وتتطامن عنه، ولا ترى الخير والمعروف ثم لا تتخذه شعاراً وسبيلاً:

- قال تعالى: "كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ" (آل عمران آية:١١٠).
- وقال تعالى: "الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، ولله عاقبة الأمور".

٢- ولقد ربى الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين على الايجابية وعدم السلبية:

فأمر المسلم بأنه إذا رأى منكراً بأن يغيره قدر استطاعته (بيده، أو بقلبه، أو بلسانه) لأنه مسئول، فكل واحد مسئول عن نفسه وعمن يعول: م عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ قَالَ: [أَوَّلُ مَنْ بَدَأَ بِالْخُطْبَةِ يَوْمَ الْعِيدِ قَبْلَ الصَّلَاةِ مَرْوَانُ فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ الصَّلَاةُ قَبْلَ الْخُطْبَةِ فَقَالَ قَدْ تُرِكَ مَا هُنَالِكَ فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ أَمَّا هَذَا فَقَدْ قَضَى مَا عَلَيْهِ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ].

٣- ولقد حذرنا صلى الله عليه وسلم من الإمعية:

ت: عَنْ حُذَيْفَةَ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: [لَا تَكُونُوا إِمَّعَةً، تَقُولُونَ: إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا، وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا، وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ، إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا، وَإِنْ أَسَاءُوا فَلَا تَظْلِمُوا].

٤- ومن الايجابية أن يتحمل المسلم مسئولية كاملة نحو نفسه ومجتمعه وأمته:

خ م عن عَبْدِ اللَّهِ بْن عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: [قال لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ وَتَقُومُ اللَّيْلَ؟ فَقُلْتُ: بَلَى، يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: فَلَا تَفْعَلْ، صُمْ وَأَفْطِرْ، وَقُمْ وَنَمْ، فَإِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا].

٥-ومن الايجابية أن يبادر المسلم إلى ما يقتنع به، ولا يتردد:

فالمتردد خائف وجل يفوت على نفسه فرص النجاح، أما الواثق فهو دائماً يبادر ولا يخاف.

قال الرسول صلى الله عليه وسلم عن أبى بكر الصديق رضي الله عنه: [ما عرضت الإسلام على أحد، إلا كانت له كبوة، عدا أبى بكر، فإنه لم يتلعثم].

٦-وإيجابية المسلم يجعلها ديدنه لكل تصرفاته حتى مع الجمادات.

خ م: عن أبى هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [بينما رجل يمشى بطريق وجد غصن شوك على الطريق فأخره فشكر الله له فغفر له].

٥= الواثق بنفسه طموح ذو همة عالية:

١-كر: ابن عمر: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [أن الله تعالى يحب معالي الأخلاق ويكره سفاسفها].

٢-حم ت جه: عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ أن النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: [الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ].

٣-ولقد أمرنا الله في كتابه الكريم بحسن الجهاد في الله فقال: "وجاهدوا في الله حق جهاده". (الحج:٧٨). والجهاد لا يكون إلا من صفات صاحب الهمة العلية.

٤-والمؤمن لا ترضى همته إلا بالجنة. م: ربيعة بن كعب الأسلمي أنه [جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوزع الصدقات على الناس، ويعطى كل واحد مسألته، وكان ربيعة من أفقر الناس، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: سلني يا ربيعة، فقال: يا رسول الله أسألك مرافقتك في الجنة، فقال: أو غير ذلك؟ قال ربيعة: لا" فقال: إذن، فأعنى يا ربيعة على نفسك بكثرة السجود]. فهمة المؤمن في أعلى عليين، وهمته في العلم والعمل سواء.

٥-قال عبد الرحمن الأوزاعي: (إن المؤمن يقل الكلام ويكثر العمل، وإن المنافق يكثر الكلام ويقل العمل)[١].

ولا عجب حينئذٍ حينما نسمع أن بعض الصحابة مثل أبى أيوب الانصارى قد رحل من الحجاز إلى مصر لسماع حديث واحد من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم.
وأصحاب الهمم العالية لا يرضون بغير القمة بديلا، وإن المخترعين والمستكشفين والمصلحين والفلاسفة لم يكونوا ملائكة أو شياطين، ولكنهم كانوا رجالاً أمثالكم، تملكهم الأمل، فبذلوا في سبيله كل جهودهم وقلوبهم حتى أدركوه.
والعاقل هو من يثبت ذاته بما يرفع قدره ويجلب له النفع ويكسبه احترام الناس.
ومن الأمور التي ترفع من همة المرء: أن يجدد أهدافه في الحياة ويجدد علاقاته ولا يركن إلى الخمول، وأن يعشق العمل، ويغتنم الفرصة.

---

[١] أبوبكر الفريابى: صفة النفاق وذم المنافقين، صـ٦٥.

٦= الواثق بنفسه يسيطر على نفسه.. فلا يغضب ولا يحقد:

من أهم صفات الإنسان الواثق من نفسه أنه لا يترك فرصة للغضب أن يسيطر عليه، أو يتحكم في انفعالاته، لأن تحكم الغضب على نفس المرء دليل على ضعف نفسه، ونقص إرادته.

١–لذا فقد جعل الله تعالى من صفات المؤمنين المتقين أنهم يسيطرون على أعصابهم فلا يسترسلون مع غضبهم ولا يسمحون له بأن يحطم حياتهم،

قال تعالى: "وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ. الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ" (آل عمران:١٣٣–١٣٤).

٢–ولقد بين النبي صلى الله عليه وسلم معنى القوة الحقيقية بأنها وثوق الإنسان وإرادته في تملك نفسه والسيطرة على أعصابه عند الغضب:

م عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سألهم يوماً فقال: [مَا تَعُدُّونَ الرَّقُوبَ فِيكُمْ؟ قُلْنَا: الَّذِي لَا يُولَدُ لَهُ. قَالَ: لَيْسَ ذَاكَ بِالرَّقُوبِ، وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ الَّذِي لَمْ يُقَدِّمْ مِنْ وَلَدِهِ شَيْئًا. قَالَ: فَمَا تَعُدُّونَ الصُّرَعَةَ فِيكُمْ؟ قُلْنَا: الَّذِي لَا يَصْرَعُهُ الرِّجَالُ. قَالَ: لَيْسَ بِذَلِكَ، وَلَكِنَّهُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ].

٣–وفى القرآن الكريم أمثلة عديدة من حياة الأنبياء على جهل قومهم عليهم ومقابلتهم ذلك بالصبر الجميل:

فها هو هود عليه السلام أرسله الله إلى عاد ولكنهم ماذا قالوا له وماذا قال لهم قال تعالى "قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وِإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ. قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ. أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَاْ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ" (الاعراف:٦٦–٦٨).

٤–ولقد كان رسولنا صلى الله عليه وسلم قدوة حسنة في ذلك فلم يغضب لنفسه إنما كان يغضب لله تعالى إذا انتهكت حرمة من محارمه:

- خ م عن أبي هُرَيْرَةَ [أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَالَ فِي الْمَسْجِدِ، فَثَارَ إِلَيْهِ النَّاسُ لِيَقَعُوا بِهِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: دَعوه، وأَهرِيقوا على بولِهِ ذنوبا مِنْ مَاءٍ، أَوْ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ].
- روى أبو الشيخ الأصبهاني في كتابه "أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم"، بسنده عن أبي هريرة [أن أعرابيا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم يستعينه في شيء، فأعطاه شيئا، ثم قال: أحسنت إليك؟ فقال الأعرابي: لا، ولا أجملت قال: فغضب المسلمون، وقاموا إليه، فأشار إليهم أن كفوا. قال عكرمة: قال أبو هريرة: ثم قام النبي صلى الله عليه وسلم فدخل منزله، ثم أرسل إلى الأعرابي، فدعاه إلى البيت، فقال: إنك جئتنا فسألتنا، فأعطيناك، فقلت: ما قلته، فزاده رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا،

ثم قال: أحسنت إليك؟ قال الأعرابي: نعم، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: إنك كنت جئتنا فسألتنا، فأعطيناك، وقلت ما قلت، وفى أنفس أصحابي شيء من ذلك، فإن أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي، حتى تذهب من صدورهم ما فيها عليك. قال: نعم. قال عكرمة: قال أبو هريرة: فلما كان الغد أو العشي، جاء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن صاحبكم هذا كان جاء فسألنا، فأعطيناه، وقال ما قال، وإنا دعوناه إلى البيت فأعطيناه فزعم أنه قد رضي، أكذلك؟ قال الأعرابي: نعم، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا. قال أبو هريرة: فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ألا إن مثلي ومثل هذا الأعرابي كمثل رجل كانت له ناقة فشردت عليه، فاتبعها الناس، فلم يزيدوها إلا نفورا، فناداهم صاحب الناقة: خلوا بيني وبين ناقتي، فأنا أرفق بها وأعلم، فتوجه لها صاحب الناقة بين يديها وأخذ لها من قمام الأرض، فردها هونا هونا هونا حتى جاءت واستناخت وشد عليها، وإني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال، فقتلتموه، دخل النار].

٥- والعاقل هو الذي لا يترك التوافه وصغائر المشكلات أن تهدم سعادته وتحطم حياته ويغضب لأتفه الأسباب، فيوصله الغضب إلى الحقد والضغينة فيفقد تماماً ثقته بنفسه وبمن حوله.
جه عن عبد الله بن عمرو قال: [سأل رجل النبي صلى الله عليه وسلم "عن أفضل الناس فقال: كل مخموم القلب صدوق اللسان، فقيل: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال: هو التقى النقى لا إثم فيه ولا بغى ولا غل ولا حسد].

فالواثق لا يغضب ولا يحقد.

<u>٧= الواثق بنفسه يواجه أخطاءه بكل شجاعة:</u>

الواثق لا يهرب من أخطاءه بل يواجهها بكل شجاعة وإقدام.

١-فالواثق بنفسه ابتداء يحرص كل الحرص على عدم إذلال نفسه بأن يوردها المهالك، ويضعها كل يوم مواضع الاعتذار، ولكن الإنسان بطبعه ناسٍ خطاء، ولكن صاحب النفس القوية الشجاعة، والهمة العالية لا يرى الاعتذار عن خطأه منقصة له، ولا إقلالاً من شأنه ولا آخذا من مكانته.
وقد حذرنا الرسول صلى الله عليه وسلم من ذلك، ففي بعض وصاياه: طك طس عن ابن عمر قال: [أتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، حدثني بحديث، واجعله موجزا، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: صل صلاة مودع، فإنك إن كنت لا تراه فإنه يراك، وأيس مما في أيدي الناس تكن غنيا، وإياك وما يعتذر منه].

٢-ولقد علمنا القرآن الكريم الشجاعة في الاعتذار عن الخطأ، ففي غزوة أحد حينما أصاب المسلمين ما أصابهم بسبب مخالفتهم أوامر النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: إن ذلك كله من عند الله ولكن الله تعالى قال لهم "أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" (آل عمران:١٦٥).

٣-ن عن جندب بن عبد الله أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث رهطاً، أَمَّرَ عليهم عبدَ الله بن جحشٍ وأمرَه أن يأتي بطن نخلة بين الطائف ومكة، ليرصد عير قريش، ويعلمَ من أخبارهم، فلما أوشكت مهمتهم على الانتهاء إذا بهم قافلين إلى المدينة رأوا قافلة طويلة عريضة مليئة بالخيرات ولا يقودها سوى ثلاثة رجال من قريش، ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم قد أمرهم بقتال ولا إغارة، إلا أنهم لم يريودا أن يرجعوا إلى المدينة دون غنيمة، فهجموا على القافلة فقتلوا منهم رجلا اسمه ابن الحضرمي، وأسروا رجليم هما: الحكم بن كيسان، وعثمان بن عبد الله، ولم يدروا أن ذلك اليوم كان غرة رجب وليس المتمم لشهر جمادى، فأتوا النبيَّ صلى الله عليه وسلم فحدثوه الحديث، فقال: ما أمرتكم بالقتال في الشهر الحرام، فقال عبد الله بن جحش: يا رسول الله، إنا قتلنا ابن الحضرمي ثم أمسينا فنظرنا فإذا هلال رجب، فوالله لا ندري أفي رجب أصبناه أم في جمادى، فقال واستغل المشركون الواقعة وروجوا في الجزيرة العربية بأسرها أن المسلمين ينتهكون حرمة الشهر الحرام، فأنزل الله تعالى: "يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ" (البقرة:٢١٧)، فما كان من النبي صلى الله عليه وسلم إلا أن اعترف بخطأ أتباعه، ولم يجادل، ولم يكابر، ونتيجة لاعترافه بخطأهم: رد القافلة والأسيرين إلى مكة، ودفع لقريش دية القتل الخطأ لابن الحضرمي، ومقدارها مائةً من الإبل.

٨= **<u>الواثق بنفسه يصبر على المصائب ويتحمل الشدائد:</u>**

١-وصف الله تعالى المؤمنين الصالحين في كتابه الكريم بأنهم يصبرون في البأساء والضراء وأنهم يواجهون المصائب بالصبر الجميل:

قال تعالى: "الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ" (البقرة:١٥٦-١٥٧).

٢-فالعاقل المؤمن لابد أن يدرك جيداً أن الله تعالى خلقه لحكمه ومنها اختباره، حتى يمحصه ويقوى إيمانه فما يصيبه من شئ فهو داخل في مجال الاختبار والابتلاء وعليه أن يصبر ويتجمل بالصبر:

خ م عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: [الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى].

فماذا يجدي العاقل إذا سخط وتبرم على قدره وإنها لحماقة كبرى تلك التي يقترفها من لا يتجملون بالصبر والإيمان حين تحل بهم الشدائد والنكبات، وأية حماقة أكبر من أن يثور المنكوب ويفقد رشده فيحاول في جنون أن يضرب الأرض بقدميه، وأن ينطح الجدران برأسه، إن هذا المسكين لن يخفف ذلك من نكبته بل هو على عكس ذلك يضعف من قدرته على مواجهتها فيضاعفها من حيث لا يدرى.

٩= الواثق بنفسه لا يسمح للقلق أن يدمر حياته:

القلق يفقد الإنسان سكينه النفس وأمنها ورضاها، ويجعله يتحسر على ماضيه، ويسخط على حاضره، ويخاف من مستقبله، والقلق يجعل الإنسان يمارس نشر خشبه، ونثر نشارة الخشب تحت قدمه بلا فائدة، ويستسلم لآلامه وأحزانه وحسراته على ما فاته، وكان أولى به أن يقول: (ما مضى فات، والمؤمل غيب، ولك الساعة التي أنت فيها).

يقول صاحب كتاب "دع القلق": (لقد وجدت أن القلق على الماضي لا يجدي شيئاً تماماً، كما لا يجدي بك أن تطعن الطعين، ولا أن تنشر النشارة، وكل ما يجديك إياه القلق هو أن يرسم التجاعيد على وجهك، أو يصيبك بقرحة المعدة)أهـ،

والقلق يهزم صاحبه قبل أن يبدأ المعركة، فمن ظن أنه قد هزم فقد هُزِم حقاً، ومن ظن أنه ليس مقداماً فلن يكون مقداماً، ومن ظن أنه لن يفوز فلن يفوز أبداً.

ولا نقول بأن القلق شر كله، بل إن القلق إحساس لا غنى عنه ولا استغناء، إنه لازمة لابد منها، إنه الحافز والموجه والمنبه... ولكنه إحساس يجب أن يبقى في دائرة الإحساس كالمنبه المحفز، فيجب أن أن نلجمه لئلا ينقلب إلى وحش مفترس.

فالانفعالات المتضاربة التي ينبت منها القلق إن تركت حرة تعيث فساداً وتقضى على العاقل عاجلاً أو أجلاً.

١٠= الواثق بنفسه يتواضع في غير ذل، ويلين في غير ضعف:

١-حرم الله تعالى الكبر والإعجاب، فالعزة والكبرياء من صفاته تعالى وحده:

م د عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: [قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ].

٢–وقد جعل الله تعالى الآخرة للمتواضعين:
قـال تعـالى: "تِلْـكَ الـدَّارُ الْآخِـرَةُ نَجْعَلُهَـا لِلَّـذِينَ لَا يُرِيـدُونَ عُلُـوًّا فِـي الْأَرْضِ وَلَا فَسَـادًا وَالْعَاقِبَـةُ لِلْمُتَّقِـينَ" (القصص:٨٣).

٣–فالتواضع الحقيقي هو اللين في غير ذل ولا ضعف وعدم التفاخر والتكبر على عباد الله، فالمتكبر المغرور إنسان ناقص الإرادة فاقد الثقة بنفسه وبمن حوله.
قال رجاء بن حيوة: (سمرت ليلة عند أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز فعشى السراج، فقلت: يا أمير المؤمنين ألا أنبه هذا الغلام يصلحه؟ قال: لا دعه ينام لا أحب أن أجمع عليه عملين، فقلت: أفلا أقوم أنا فأصلحه؟ قال: لا فليس من المروءة استخدام الضيف، ثم قام بنفسه فأصلحه ووضع فيه الزيت ثم جاء وقال: قمت وأنا عمر ورجعت وأنا عمر).

<u>١١= الواثق بنفسه واثق في مظهره وفى تصرفاته:</u>
الثقة بالنفس يظهر أثرها على صاحبها في سلوكه ومظهره، في شكله وفى مخبره، بل وفى جميع تصرفاته، فتجده نظيف الثياب، حسن الهيئة، طيب الرائحة:

١–يقول الله عز وجل: "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ" (البقرة:٢٢٢).

٢–م عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ أن النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: [لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ. قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً. قَالَ: إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ].

٣–م عن أَنَس قال: [مَا شَمَمْتُ عَنْبَرًا قَطُّ، وَلَا مِسْكًا، وَلَا شَيْئًا أَطْيَبَ مِنْ رِيحِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا مَسِسْتُ شَيْئًا قَطُّ دِيبَاجًا وَلَا حَرِيرًا أَلْيَنَ مَسًّا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ][١].

٤–بل كان من خلقه أنه إذا خرج إلى أصحابه أن يصلح من شعره وهندامه ويتطيب لهم:
- فكان يحرص على ترجيل شعره قبل أن يخرج للناس: خ م عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: [كُنْتُ أُرَجِّلُ رَأْسَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا حَائِضٌ].

---
[١] الحكيم الترمذي: الشمائل المحمدية، صـ١٨٢.

- وكان يحرص على ترجيل شعهره حتى وهو معتكف في المسجد: خ م عن عَائِشَة [أَنَّهَا كَانَتْ تُرَجِّلُ رَأْسَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهِيَ حَائِضٌ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَئِذٍ مُجَاوِرٌ فِي الْمَسْجِدِ، يُدْنِي لَهَا رَأْسَهُ وَهِيَ فِي حُجْرَتِهَا، فَتُرَجِّلُهُ وَهِيَ حَائِضٌ].
- حم د ن عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ قَالَ: [أَتَانَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَأَى رَجُلًا ثَائِرَ الرَّأْسِ فَقَالَ أَمَا يَجِدُ هَذَا مَا يُسَكِّنُ بِهِ شَعْرَهُ؟].
- ط ن عَنْ أَبِي قَتَادَةَ [أنه كَانَتْ لَهُ جُمَّةٌ ضَخْمَةٌ، فَسَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَرَهُ أَنْ يُحْسِنَ إِلَيْهَا، وَأَنْ يَتَرَجَّلَ كُلَّ يَوْمٍ].
- وما سبق هو أصل، يقتضي الاعتناء بالشعر وحُسْن المظهر، لا يعارضه أخبار أخرى، بل تفهم الأخبار الأخرى في هذا الإطار الأصيل:
  - د ن عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ قَالَ: [كَانَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامِلًا بِمِصْرَ فَأَتَاهُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِه فَإِذَا هُوَ شَعِثُ الرَّأْسِ مُشْعَانٌّ قَالَ مَا لِي أَرَاكَ مُشْعَانًّا وَأَنْتَ أَمِيرٌ قَالَ: كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْهَانَا عَنْ الْإِرفاهِ. قلنا: وما الإِرفاه؟ قال: التَّرَجُّلُ كُلَّ يَوْمٍ].
  - د ن ت: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُغَفَّلٍ قَالَ: [نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ التَّرَجُّلِ إِلَّا غِبًّا].
- فالمعنى من الأخبار المعارضة أنها تعني النهي عن الولوع بتحسين الشعر، لا أن تصلح شعرك كلما ثار وتشعث.

٥–والواثق من نفسه تجده أيضاً تعلو البسمة وجهه، فلا تراه إلا مبتسما متفائلاً. وفى الحديث "تبسمك في وجه أخيك صدقة"، فالمعلوم أن تعبيرات الوجه تتكلم بصوت أعمق أثراً من صوت اللسان، فكأني بالابتسامة تقول لك عن صاحبها: "إني أحبك، إني سعيد برؤيتك". والإنسان حينما يبتسم فإنه يستخدم ثلاث عشرة عضلة من عضلات وجهه، في حين أنه يستخدم أربعا وسبعين عضلة عندما يعبس أو يتجهم.
خ م عَنْ جَرِيرٍ بن عبد الله البجلي قَالَ:[مَا حَجَبَنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنْذُ أَسْلَمْتُ، وَلَا رَآنِي إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِي].

٦–والواثق من نفسه إذا قابل أحداً فإنه يبدأه بالسلام ويحيه بتحية أحسن من تحيته له، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ألق السلام على من عرفت ومن لم تعرف"، وقال: "ألا أدلكم على شئ إذا فعلتموه تحاببتم أفشو السلام بينكم"، وقال: "إذا لقى أحدكم أخاه فليسلم عليه، فإن حالت بينهما شجرة أو حائط ثم لقيه فليسلم عليه"[١].

[١] العجلوني: كشف الخفاء، جـ١، صـ ١٠٤.

٧–وتظهر الثقة في مشية الإنسان "فواثق الخطوة يمشى ملكاً"،

- وقد وصف الله في قرآنه مشية عباد الرحمن فقال تعالى: "وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا" (الفرقان:٦٣)، قال السلف في تفسير هذه الآية: مشية الهون ليست المشي ببطء، ولكن مشية الهمة التي لا يخبط الأرض ويرزعها رزعاً، فكأنه يمشي عليها من خفته كالريشة، وهي في ذات الوقت مشية بسكينة ووقار، من غير تكبر ولا تماوت.
- ومشية الذين يمشون على الأرض هوناً هى مشية رسول الله صلى الله عليه وسلم: ت عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: [مَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَحْسَنَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَأَنَّ الشَّمْسَ تَجْرِي فِي وَجْهِهِ، وَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَسْرَعَ فِي مِشْيَتِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَأَنَّمَا الْأَرْضُ تُطْوَى لَهُ، إِنَّا لَنُجْهِدُ أَنْفُسَنَا، وَإِنَّهُ لَغَيْرُ مُكْتَرِثٍ][1].
- كما أنه كان إذا مشى لا يلتفت وراءه. وهذا يدل على الشخصية المتكاملة: حم ت عن عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: [كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَخْمَ الرَّأْسِ، عَظِيمَ الْعَيْنَيْنِ، هَدِبَ الْأَشْفَارِ، مُشْرَبَ الْعَيْنَيْنِ، بِحُمْرَةٍ، كَثَّ اللِّحْيَةِ، أَزْهَرَ اللَّوْنِ، شَثْنَ الْكَفَّيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ، إِذَا مَشَى كَأَنَّمَا يَمْشِي فِي صُعُدٍ، وَإِذَا الْتَفَتَ الْتَفَتَ جَمِيعًا].

<u>١٢= الواثق بنفسه يستشعر – في غير كبر – عظمة نفسه وعزة شخصيته، حتى ولو كان صغير السن:</u>

١–قال تعالى: "وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ" (آل عمران:١٣٩)

٢–ويروى أنه حينما تولى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز الخلافة جاءه وفد من اليمن للتهنئة بالخلافة وكان يتقدم هذا الوفد طفل صغير لا يتجاوز العاشرة من عمره فلما رآه عمر قال له: يا غلام تأخر، وليتقدم من هو أكبر منك سنا، فقال الغلام المبادر الواثق من نفسه: (يا أمير المؤمنين، إنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه، فإذا أعطى المرء قلبا حافظاً، ولساناً لافظاً فقد استحق الذكر، وإذا كان الأمر بالسِن ففي الناس مَنْ هو أكبر منك سِنا فيكون أولى بالخلافة منك)، فأعجب به أمير المؤمنين.

انتهى، ولله الحمد والمنة

[1] ابن القيم: زاد المعاد، جـ١، صـ٤٢.